مقدمة كتاب أقوال يسوع الصادمة

منذ أن بدأ يسوع خدمته في الجليل واليهوديّة، نراه يتكلم ويُعلِّم في المجامع، وفي الحقول، وفي كل مكانٍ ذهب إليه؛ وقد أثارت تعاليمه وأقواله ردَّات فعل مختلفة على مستمعيه، فهناك مَن وجد في أقوال يسوع الراحة والهدوء والسكينة، خاصة وهو القائل بفمه الطاهر: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (متى ١١: ٢٨)؛ لكنَّ في مراتٍ أخرى، كانت أقوال يسوع صعبة وصادمة حتى لتلاميذه وتابعيه، وقد سجَّل يوحنا ردة فعل بعض من تلاميذه عندما قال يسوع: «جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ» أنَّ «كَثِيرُونَ مِنْ تلاَمِيذِهِ إِذْ سَمِعُوا: «إِنَّ هَذَا الْكلاَمَ صَعْبٌ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ؟» (يوحنا ٦: ٥٥، ٦٠)، وتبقى الحقيقة التي سجلَّها الإنجيليون أنَّ الذين سمعوا أقوال وتعاليم يسوع: «بُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ» وتساءلوا، «مَا هَذَا؟ مَا هُوَ هَذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ؟» (مرقس ١: ٢٢، ٢٧).

إنَّ جزءًا من صعوبة أقوال يسوع، تكمن في أنَّه لم يتكلم بما اعتاد الناس أن يسمعوه، بل وضع تعاليمه العميقة في وعاءٍ لغوي من السهولة والصعوبة في آنٍ معًا، وقد مستمعيه إلى أعماق جديدة فيما سبق وتعلموه من قادتهم الدينين، أو من أسفار الشريعة، فعندما نقترب إلى عظة المسيح على الجبل، نراه يُردد كثيرًا، «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ .. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ» (متى ٥: ٢١، ٢٢)، لقد اعتاد اليهود أن يحفظوا ويرددوا أقوال الشريعة، وربما كان يعملون بها، كانت الوصية السادسة والسابعة في الشريعة تقول: «لا تَقْتُلْ . . لا تَزْنِ» (خروج ٢٠: ٥، ٦)، وقد يحيا الإنسان عمره كله دون أن يقتل أحدًا، أو يزني مع أيَّة امرأة، وهكذا كانت الوصية تُركز على الطهارة والنقاء الخارجي، لكنَّ يسوع أخذ الوصيّة نحو عمق أعمق، فقال: «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ»؛ وقال أيضاً «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ» (متى ٥: ٢١، ٢٢، ٢٧، ٢٨)؛ لقد عالج المسيح في تعليمه منشأ القتل والزنى، إنها المشاعر الداخلية التي تحدث في أعماق الإنسان، فالقتل يبدأ من بغض وكره الإنسان لأخيه الإنسان، وهكذا الزنى يبدأ من الشهوة التي تكمن خلف نظرة شريرة، وهكذا تأتي صعوبة أقوال وتعاليم المسيح، فربما يستطيع أن يتحكم الإنسان في نفسه خارجيًا، فلا يقتل ولا يزني، لكنَّ الصعوبة تأتي عندما يُدرك أن عليه أن يتحكم في مشاعره الدفينة، والتي قد تفضحها وتكشفها نظرة شهوة، أو قولٍ بسيط يمكن التفوه به ككلمة «أحمق». وهكذا نفهم قوله: «إِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ» (متى ٥: ٢٩، ٣٠).

هذه الأقوال الصعبة والصادمة، التي نطق بها المسيح تُصبح أقولًا سهلة ومُريحة عندما يتذوق الإنسان الإيمان بالمسيح، ويختبر خلاصه، ويعيش حياته بقوة وملء الروح القدس.

وعندما تقرأ كلمات المُبدِع القس سهيل سعود وهو يأخذك في تفسير وشرح عشرين قولًا من أقوال يسوع الصعبة والصادمة، إنما يضع أمامك منهجًا تفسيريًا وروحيًا، يساعدك على فهم وتطبيق تلك الأقوال في حياتك الشخصيّة.

تهنئة لكاتبنا صاحب القلم المُميز، والموهبة المتوهجة، وهنيئًا للقارئ العربي، في كل مكانٍ.

د. القس نصرالله زكريا